

## 1613 - "المحاكمة السياسية أولاً"، شكراً للأستاذ!!

طوال هذا العام: ظل أبنائي وبناتي من الإعلاميين، الشباب خاصة، يسألونني مكرراً عن "ماذا تغير في الشعب المصري؟، في الأخلاق المصرية؟، في الشارع المصري... بعد 25 يناير؟، ولم ينفع في الإقلال من هذا الإلحاح اعتذاري طول الوقت بصعوبة الإجابة، والتأكيد على أن الشعوب لا تتغير مثل نقلات "الفيتيس"، وأن أي تغيير حقيقي يحتاج وقتاً طويلاً ومخاطرة مرعبة، وهو يتعرض لمضاعفات ونكسات بلا حصر.... إلخ.

يوم الثلاثاء قبل الماضي دعاني الإبن النابه "خيري رمضان" لمناقشة تليفزيونية حول كتاب الأستاذ الكبير القدير محمد حسنين هيكل عن "مبارك"، وبرغم أنه لم يكن قد صدر إلا المقدمة والجزء الأول، وبرغم من أنه لم يُخطرنى بموضوع اللقاء إلا بعد وصولي للاستديو، شاركتُ مرجحاً في الفكرة بشكل عام، واستسمحتني في تأجيل التفاصيل حتى ينتهي الكتاب.

منذ حوالي عشر سنوات أتيت لي فرصة أن أناقش حديثاً أجراه الأستاذ هيكل مع الإبن الصديق إبراهيم عيسى في قناة دريم، كتبت عنه مقالاً بعنوان "الوثائق والحقائق" (الوفد 18 فبراير 2002) فرجعت إليه ؟

ما هذا؟؟!!!، الأستاذ هو الأستاذ، والهالة هي الهالة، وأنا هو أنا، والكلام هو الكلام، انقبض قلبي برغم إصراري على التمسك بتقاولي العنيد، عدلت عن كتابة تعليق جديد على ما لم يكتمل في البرنامج، وفضلت أن أقنطف "ثمان" مقتطفات من المقال القديم لعلها تصلح الآن، (كل ما سيأتي، قبل كلمة "الخاتمة"، هو مكتوب ومنشور من عشر سنوات):

(1) ...أعرف أنه ليس هذا وقت الحديث عن شخص، مدحا أو قدحا، نحن في ماذا أم ماذا؟ .... إن ما تفرضه علينا دماء الشهداء الغالية، ... هو أن نراجع كل شيء. كل فعل، كل حرف، كل كلمة، كل كسل، كل تبرير، كل منظرة، كل زعيم، كل تقديس

إن ما تفرضه علينا  
دماء الشهداء  
الغالية، ... هو أن  
نراجع كل شيء.  
كل فعل، كل  
حرف، كل كلمة،  
كل كسل، كل  
تبرير، كل منظرة،  
كل زعيم، كل  
تقديس بشرك...

نحن جاهزون طول  
الوقت لصناعة  
الفرعون، ...

سرعان ما ننسك،  
كما ينسك الضمك  
تفرغ، أننا مستهلون  
عماً آل إليه. فيصكك،  
ونصكك... إلخ

بشرى... هذا يستلزم أن نتجاوز اللحظة دون أن نتخلى عنها، كما يتطلب أن نتجاوز الأشخاص دون أن نبخسهم حقهم وفضلهم.

(2) نحن جاهزون طول الوقت لصناعة الفرعون، ... نستلقت أى قائد، أو شيخ قبيلة، أو متميز فى أى مجال، وهات يا تقديس، وهات يا نفخ، وهات يا تزويق، ثم سرعان ما ننسى، كما ينسى الذى تفرعن، أننا مسئولون عما آل إليه. فيصدق، ونصدق... إلخ

(3) الأستاذ هيكلم لم يغيب عن وعى الناس ولا لحظة، حتى صمته المختار (المزعوم)، كان حضورا كثيفا عند البعض وتقبلا عند آخرين. إن ما يجرى الآن يلزمنا بأن نتجاوز هذه الظاهرة (فُرْعنة الأفراد). إن ما يسيل من دماء الشهداء يلزمنا بالكف عن هذه الاعتمادية العيبية، إن الشباب الذين ضحوا ويضحون من أجلنا ... هم القادة الحقيقيون لنا الآن ، هم القادرون على تغيير الوعى دون استئذان، على بعث الحياة دون تقديس لفرد بذاته، على تجسيد الحلم دون تأجيل... إلخ.

(4) إن "ظاهرة هيكلم" لها أبعاد ثلاثة، فهو تاريخ، ومؤسسة، ومدرسة، وكل بعد من هذه الأبعاد يحتاج إلى وقفة ومراجعة .....

مثلا: كيفية التعامل مع الوثائق: هى مسألة منهجية تثير جدلا هائلا حول مصداقيتها وموضوعيتها، حيث تحمل خطر الانحياز العفوى أو الانتقاء المغرض أو الكذب الموثق.. إلخ

(5) ينفى الأستاذ عن نفسه دائما صفتين، أنه أديب، وأنه شريك فى القرار السياسى،... مما يحتاج إلى مراجعة هادئة، (خاصة مدى مسؤوليته بالنسبة للماضى الباكر).. إلخ

(6) ... صفة ثالثة لم ينفها الأستاذ عن نفسه، ألا وهى صفة المحلل النفسى، فمنذ أن كتب فى أوائل الستينات "بصراحة" عن "العقد النفسية التى تحكم الشرق الأوسط، حتى ما كتبه تفصيلا عن الملوك والسلاطين العرب، وهو يمارس هذه الهواية بحذق شديد يفوق مهارة المختص فى كثير من الأحيان.... إلا أن هذه الهواية تستدرجه غالبا إلى منزلتين الأولى: أنها تعريه "بالتداعى الحر"، وله ما له وعليه ما عليه، والثانى: أنها تتطلب النظر فى نفسه فى نفس الوقت،

**فالتحليل رحلة بين الذات والآخر،** يترتب على ذلك أنه يقوم بتقديم أهم الشخصيات انطلاقا من مقابلة شخصية، أو انطباع ذاتى، أو فراسة خاصة، مرة أخرى ليس عندى تحفظ مطلق..، لكن هذا المنحنى قد أوصله مرات كثيرة إلى التعسف والشطط، مثلا:

إن ما يسيل من دماء  
الشهداء يلزمنا  
بالكف عن هذه  
الاعتمادية العيبية

إن الشباب الذين  
ضحوا ويضحون من  
أجلنا ... هم القادة  
الحقيقيون لنا الآن ،  
هم القادرون على  
تغيير الوعى دون  
استئذان، على بعث  
الحياة دون تقديس  
لفرد بذاته، على  
تجسيد الحلم دون  
تأجيل...

فالتحليل رحلة بين  
الذات والآخر

... حين يلمح إلى أثر لون بشرة والدة السادات السوداء، حتى اضطرت إلى التنبيه إلى هذا التجاوز، مشيراً إلى أننا إذا رضينا مثل هذا التأويل فيجدر بنا أن نلحقه بتذكرة أن السيدة الفاضلة زوجة السادات كانت ومازالت بيضاء ومثل القمر، فهل أثر ذلك في نفسيته، ومن ثم في قرارته، وكيف كان ذلك !!؟

(7) ... لقد وضعنا الشهداء في واقع مائل يتفجر دما وشرفا وكرامة، واقع لا بد أن يستنفذ وعيا آخر، وإبداعا آخر، طول الوقت، بطول الزمن إلى ما بعد نهاية التاريخ حيث ليس للتاريخ نهاية ..... إلخ (8) إن أولادنا وبناتنا وأهلنا وشهداءنا... قد حددوا بداية أخرى لتاريخ آخر، تاريخ ليس له نهاية، نرجو أن نكون أهلا له، فهو واعد بكل خير وكرامة للبشر كافة... إلخ

(انتهت المقطعات القديمة : 18 فبراير 2002)

#### الخاتمة:

أما الآن (الأحد 22 يناير 2012) فدعوني أختم بملاحظتين:  
الأولى: أن التعهد النبيل الذي بدأ به الأستاذ المقدمة بأنه "لن ألزم نفسي طوال هذه الصفحات بأوصاف للرئيس «حسنى مبارك» من نوع ما يرد على الألسنة والأقلام منذ أزيح عن قمة السلطة .." ، لا يتفق مع تكراره صفة "البقرة الضاحكة" حتى لو أوردها على لسان غيره.

الثانية: هي شكر بالغ للأستاذ على تنبيهه الموضوعى الواجب التطبيق، وهو ما ينبغي أن يعرفه كل الناس أهم من تحليل شخصية مبارك وهو: ضرورة تقديم "المحاكمة السياسية" عن "المحاكمة الجنائية"، وإثبات أن الرئيس قد أخل بالتزامه الوطنى والسياسى والأخلاقى وأساء إلى شعبه أولا، ثم بعد ذلك يمكن محاكمته على ما ارتكب حالة كونه لم يعد رئيسا يدافع عن حياته أو عن أمن وطنه. هذه توصية حكيمة هامة خاصة لو أمكن تطبيقها على كل الرؤساء السابقين، فى كل المواقع.

**آخر لحظة:** (الأحد، الخامسة والنصف صباحا، أذان الفجر): وصلتني صحف الأحد، وقرأت الحلقة الرابعة، ونصحتني للأستاذ القدير، بعد إذنه، أن يثق في ذكاء القارئ وينتبه إلى أنه (الأستاذ) يكشف نفسه وهو يكشف الآخرين (أنظر المقطع رقم "6")، أطال الله عمره ومتعته بالصحة، ونفع به، وبارك في ذاكرته.

لقد وضعنا  
الشهداء في واقع  
مائل يتفجر دما  
وشرفا وكرامة، واقع  
لا بد أن يستنفذ  
وعيا آخر، وإبداعا  
آخر، طول الوقت،  
بطول الزمن إلخ ما  
بعد نهاية التاريخ  
حيث ليس للتاريخ  
نهاية...

إن أولادنا وبناتنا  
وأهلنا وشهداءنا...  
قد حددوا بداية  
أخرى لتاريخ آخر،  
تاريخ ليس له نهاية،  
نرجو أن نكون أهلا  
له، فهو واعد بكل  
خير وكرامة للبشر  
كافة...